Conversational implicature in Quranic Discourse Surat Al-Anbiya as a Model

Taha Umar Mohammed
Salaheddin University

DOI: https://doi.org/10.31918/twejer.2582.09

Published: 10/08/2025

Abstract

The study, entitled (conversational implicature in Quranic Discourse/Surat Al-Anbiya as a Model), aims to monitor the theory of dialogical imperative that prevailed in contemporary pragmatic studies, while exploring its roots in rhetorical thought by means of a comparison between some of the rhetoricians' terms that almost match the definition of dialogical imperative among pragmatics, as well as pointing to the convergence of the two fields in the approach to studying and analyzing texts within their contextual circumstances and spatial layers. And their awareness of how the meaning of the discourse moves from the literal performative force (situational/real meaning) to the necessary fulfillment force (useful/metaphorical meaning), while adhering to the principle of general cooperation between the parties to the dialogueThe study extracted selected examples from the surah and analyzed them in a pragmatic analysis on the informational and guidance discourse in two independent sections, with reference to the justifications for expressing the meaning in an implicit, indirect way, without the apparent superficial connotations during the analysis of the selected examples.

***Keyword**: conversational implicature, prophets, literal achievement power, required achievement force.*

الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني
سورة الأنبياء نموذجا

د.طه عمر محمدسعيد
Taha.mohemmed@su.edu.Krd
جامعة صلاح الدين- أربيل/ كلية اللغات/ قسم اللغة العربية

الملخص:

تهدف الدراسة الموسومة بـ (الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني/ سورة الأنبياء نموذجا) إلى رصد نظرية الاستلزام الحواري التي سادت في الدراسات التداولية المعاصرة، مع التنقيب عن جذورها في الفكر البلاغي عن طريق المقابلة بين بعض المصطلحات البلاغية التي تكاد تطابق مصطلح الاستلزام الحواري عند التداوليين، فضلا عن الإشارة إلى التقاء التداولية مع البلاغة العربية في منهج دراسة النصوص وتحليلها ضمن ملابساتها السياقية وطبقاتها المقامية، مع بيان إدراك الحقلين لكيفية انتقال دلالة الخطاب من القوة الإنجازية الحرفية (الدلالة الوضعية/ الحقيقية) إلى القوة الإنجازية المستلزمة (الدلالة الاستعمالية/ المجازية)، وقد قامت الدراسة باقتطاف نماذج مختارة من السورة وتحليلها تحليلا تداوليا على الخطاب الإخباري والتوجيهي في مبحثين مستقلّين، مع الإشارة إلى مسوّغات التعبير عن المعنى بصورة ضمنية غير مباشرة دون الدلالات السطحية الظاهرة أثناء تحليل الأمثلة المختارة.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري، الأنبياء، القوة الإنجازية الحرفية، القوة الإنجازية المستلزمة.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنّ الاستلزام الحواري يعدّ من أهم النظريات التي أفرزتها الدراسات التداولية، وألصقها بميدان الاستعمال اللغوي والتواصل الاجتماعي، وآية ذلك تلك الجهود الجبّارة التي بُذلت من أجل تحديد أبعاده النظرية وتصنيف مرتكزاته وتعيين خصائصه في الحوار الدائر بين الباثّ والمستقبل، فضلا عن إجراءاته التطبيقية على نصوص لغوية مختلفة، الإبداعية منها وغير الإبداعية، سواء أكان على صعيد الدراسات اللسانية الغربية أم العربية.

ولم يغب مفهوم الاستلزام الحواري ومعطياته الإجرائية عن البلاغيين القدامى، بل نجد أنّ طروحات البلاغين قد فاقت في بعض جوانبها ما هو موجود في الدراسات اللسانية الغربية عند غرايس وغيره، ولا يُنكر أنّ هذه النظرية حديث النشأة من حيث أبعادها ومرتكزاتها كنظرية متكاملة، لكنها ضاربة بجذورها في أعماق الإرث البلاغي عند العلماء العرب، وقد أشاروا إلى هذه الظاهرة بمصطلحات مختلفة كالمعنى ومعنى المعنى، والأغراض الأصلية والأغراض الفرعية، وخلاف مقتضى الظاهر وغير ذلك، ناهيك عن تلك التحليلات البلاغية عند المفسّرين بغية إبراز إعجاز النص القرآني وقوة تعبيره التي يمكن أن تصب في قالب التحليلات التداولية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في رصدها لظاهرة الاستلزام الحواري، وكيفية انتقال دلالة الخطاب من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزمة جرّاء خرق قاعدة من قواعد الحوار عند غرايس مع التشبّث بمبدأ التعاون العام بين المتحاورين، بصورة إجرائية تحليلية على الخطاب الإخباري والتوجيهي على حدّ سواء، وذلك باقتطاف نماذج مختارة من سورة الأنبياء مع بيان المسوّغات للتعبير عن المعنى بصورة ضمنية غيرمباشرة دون الدلالات السطحية الظاهرة.

وقد سبقت هذه الدراسة دراسات كثيرة اتّجهت نحو دراسة الاستلزام الحواري في القرآن الكريم منها: الاستلزام الحواري في سورة 'طه' تحليل تداولي وفق نظرية غرايس/ ميرود سعاد، الاستلزام الحواري في سورة يوسف (دراسة تداولية)/ إفهام عبد الحافظ القباطي، وممّا يمّيز دراستنا عن تينك الدراستين أنّها حاولت السير على ما رسمه غرايس من مبدأ التعاون وما ينبثق عن الخروج على قواعده الفرعية من الاستلزام الحواري بخلاف الدراسات الأخرى التي سارت على منهج البلاغيين في التحليل والتأويل عبر تفريقهم بين المعنى الحقيقي والمجازي دون الالتزام بمفهوم نظرية غرايس في الجانب التطبيقي أثناء تحليل النصّ، فضلا عن ذلك فإنّ الاستلزام الحواري في سورة الأنبياء لم يُخصّص بدراسة تداولية في حدود علمنا.

وقد اتّبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في رصد ظاهرة الاستلزام الحواري في السورة ثمّ تحليلها تحليلا تداوليا، واقتضت طبيعة البحث والمنهج العلمي المتّبع تقسيم الدراسة على تمهيد ومبحثين وخاتمة بلورنا فيها أهمّ نتائج البحث مع قائمة المصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادّته العلمية.

ففي التمهيد وقف البحث عند مفهوم الاستلزام الحواري وأنواعه ومميزاته ، كما عرّج على جذور هذه النظرية في الإرث البلاغي العربي وخصيصا عند الجرجاني والسكاكي، وخُصّص المبحث الأول لدراسة الاستلزام الحواري في الخطاب الإخباري، في حين خُصّص المبحث الثاني لدراسة الاستلزام الحواري في الخطاب التوجيهي، مستهلا كلَّ مبحث من هذين المبحثين بمهاد نظري مردفا إيّاه بنماذج مقتطفة من السورة محللة تحليلا تداوليا في ضوء نظرية الاستلزام الحواري وقواعد مبدأ التعاون لغرايس.

التمهيد

الاستلزام الحواري بين التداول اللساني والإرث البلاغي

أولا: الاستلزام الحواري وأصنافه:

يعدّ الاستلزام الحواري من أهم المفاهيم التي أفرزتها الدراسات التداولية، وألصقها بطبيعة البحث فيها، فهو يقدّم تفسيراً لقدرة المتلقي على أن يعي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة، وهذا يعني أنّ المرسل يجعل متلقيه يدرك من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للوحدات الكلامية عبر العمليات المنطقية والأصول التخاطبية مستعينا بعناصر السياق والمقام، وقد عدّ بعض الدارسين الاستلزام الحواري "من أهمّ النظريات في البحث التداولي، وأكثرها تأثيرا في تطوره"(نحلة، ٢٠٠٢، ٣٢)، وعلى الرغم من أهميته إلّا أنّه ليس له تأريخ ممتد في اللسانيات الغربية؛ فترجع نشأته إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس من فلاسفة أكسفورد المتخصّصين في دراسة اللغة الطبيعية في جامعة هارفرد سنة (١٩٦٧)، بعنوان (المنطق والحوار)، فقدّم فيها تصوره للاستلزام الحواري وأنواعه، وقد أدرك بول غرايس هذه الظاهرة انطلاقا من فكرة أنّ الجمل كثيرا ما تدلّ على معنى سوى المعنى المباشر الذي توحي إليه صيغتها الوضعية، وهذا المعنى السياقي غير المباشر لا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية (أدراوي، ٢٠١١، ١٧) (الخليفة، ٢٠١٣، ٨)، بل هو معنى استلزامي منبثق من الصيغة الوضعية نتيجة استعمالها في سياق ومقام محدّدين، وقد عُرّف الاستلزام الحواري عند بول غرايس بأنّه شيء يقصده المتكلم ويومئ إليه ويقترحه، ولا يكون جزءاً مما تشير إليه الوحدة الكلامية بصورة حرفية (زرام وزحام، ٢٠١٩، ٣٣١-٣٣٢)، وعليه فإنّ الاستلزام الحواري هو المعنى الذي يشير إليه المتكلم بشكل غير مباشر بحيث يجعل متلقيه يتجاوز المعنى الظاهر لعبارته إلى معنىً آخر تابع للدلالة الأصلية للحدث الكلامي، وعلى هذا فالاستلزام الحواري يمثّل المعنى الضمني الذي يومئ إليه المعنى الصريح للوحدة الكلامية، وقد حاول غرايس التفريق بين ما يقال وما يقصد في الخطابات المختلفة، فبيّن أنّ ما يقال هو ما تحمله الألفاظ والعبارات من معنى حرفي بقيمته اللفظية المجردة، وما يقصد هو ما يريد المرسل إيصاله إلى المخاطب بطريقة غير مباشرة، وكثيرا ما يبدو أنّ نصيب المعنى الضمني أكثر من نصيب المعنى التصريحي (بلانشيه، ٢٠٠٧، ١٤٤). وقد مكّنت الدراسةُ المعمّقة لهذه الظاهرة غرايسَ من التفريق بين نوعين من الاستلزام:

١- **الاستلزام العرفي:** وهو الاستلزام القائم على استنباط المعاني والمفاهيم من بعض الوحدات المعجمية حسب المواضعات اللغوية، وما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفكّ عنه مهما اختلفت السياقات، وتغيرت التراكيب، مثل: لكن، بل، إنّما... إلخ وهي مجموعة من الوحدات المعجمية التي تستلزم دوما أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع (عبدالباقي، ٢٠١٧، ٢٤).

٢- **الاستلزام الحواري:** وهو الاستلزام الذي يتحقّق عند خرق قاعدة من قواعد مبدأ التعاون، وينشأ عن ذلك معنى ضمني غير مصرّح به أثناء الوحدة الكلامية، وهو يتغير بتغيّر السياقات التي يحتفّ بها، وهذا الاستلزام هو الذي يحقّق مقاصد بلاغية ويضفي على النص جمالية إبداعية، ويفتح بابا واسعا أمام المتحاورين لتبادل الأفكار والمعاني الضمنية، وذلك بالارتكان إلى جملة من الآليات اللغوية والأساليب البلاغية التي تحقق قوة التعبير وجمال الأداء الفني (شاكر، ٢٠١٨، ٢٦٣).

ثانيا: مبدأ التعاون والقواعد المتفرّعة عنه:

لقد أولى غرايس اهتماما بالغا لإيجاد حلّ إشكال كان يشغل باله، وهو كيف يقول المتكلم شيئا ويقصد شيئا غير البنية السطحية للوحدة التركيبية، وكيف يصل المخاطب إلى معنى لم يصرّح به في الخطاب، ولحلّ هذا الإشكال فقد اقترح غرايس مبدأ عامّا أسماه (مبدأ التعاون) (نحلة، ٢٠٠٢، ٣٤)، وهو مبدأ تداولي للتخاطب بين طرفي الخطاب، ومُفاده: أن على المتحاورين أن يتعاونوا فيما بينهم لتحصيل المطلوب، بمعنى أنه يجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا

فيه، وقد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام (أدراوي، ٢٠١١، ٩٧-٩٨)، ويقضي هذا المبدأ بتحقيق التعاون بين المتخاطبين بغية حصول الفعّالية القصوى في تبادل المعلومات والآراء في العملية التواصلية، ويتلخص مبدأ التعاون في مقولة مُفادها: اجعل مشاركتك في الحوار مطابقاً لما يقتضيه الغرض منه أو الاتجاه المرسوم للتخاطب، وإلى هذا أشار بعض الدارسين: إنّ المتخاطبين عندما يتحاورون، فإنّما يقبلون ضمنا بعدد من القواعد والمواضعات، وهي قواعد تحكم عمليات التواصل، وتوجّه الخطاب نحو نهايته الإيجابية (ختام، ٢٠١٦، ٩٩)، وقد فرّع غرايس عن هذه القاعدة مجموعة من القواعد الفرعية التي تنبثق من اعتبارات عقلية تفضي إلى نجاح الفعل اللغوي، وتعين على رصد الاستلزام الحواري بوصفه خرقا لقاعدة من قواعد مبدأ التعاون، وهذه القواعد هي:

١- **قاعدة الكم:** تقتضي هذه القاعدة أنْ تكونَ مساهمة المتكلم بالقَدَرِ المَطلوبِ من المعلوماتِ دون زيادة أو نقصان.

٢- **قاعدة الكيف:** وقد عبّرعنه غرايس بقاعدتين فرعيتين وهما:

-لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح أو كذب.

- لا تقل ما ليس لك عليه دليل وحجة.

٣- **قاعدة العلاقة:** ويقصد بها أن يكون الكلام ذا صلة وثيقة بالمقام، ليتناسب المقال مع المقام.

٤- **قاعدة الطريقة:** تتضمن هذه القاعدة مطلوبين ومحظورين:

- تحرّ الإيجاز والتنظيم في الكلام.

- احترز عن الغموض والالتباس (الخليفة، ٢٠١٣، ٣٠)(أدراوي، ٢٠١١، ٩٩-١٠٠).

وقد وجّه الباحثون عددا من الانتقادات إلى مبدأ التعاون لغرايس منها أنّ هذا المبدأ مبدأ مثالي خيالي لا يمتّ إلى الواقع بصلة فهو يرى أنّ الناس متعاونون، صادقون، مخلصون، واضحون جميعا، وهذا ما يخالف الواقع والمشاهد، والحقّ أنّ غرايس لم يقصد بمبدأ التعاون ذلك، بل كان يقصد أن الحوار بين بني البشر له ضوابط وتحكمه قواعد يدركها المتكلّم والمخاطب كلاهما، وقد أدرك غرايس أنّ هذه المبادئ التي يجري عليها الحوار غالبا ما تُنتهك من لدن المتحاورين، بل إنّ النظرية قائمة على هذا الانتهاك ومنه يتولّد الاستلزام الحواري، وعليه فإنّ القواعد الحوارية لا تمثل وصفا لواقع حال المحاورات اليومية، بل إنّ المتخاطبين كثيرا ما يخالفونها بشتى الطرق؛ بغية توليد استلزامات حوارية متعدّدة، وقد أثبت غرايس على وجود تلاحم شديد بين مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه وبين الاستلزام الحواري؛ وذلك لأنّ الاستلزام الحواري ينجم عن خرق قواعد مبدأ التعاون، إذ يشكّل مبدأ التعاون وقواعده المتفرعة عنه العمود الفقري لنظرية الاستلزام الحواري عند غرايس (أدراوي، ٢٠١١، ١٠٦).

و كان (غرايس) يروم بتلك القواعد التخاطبية أن تضبط التخاطب المثالي والصريح التي تضمن لكلّ خطاب تبليغ الرسالة في غاية الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلّم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، فمتى بدا من أحدهما الإخلال بقاعدة من قواعد الحوار وجب على الآخر أن يصرفَ كلام محاوره عن ظاهره إلى معنىً خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى الضمني يُتحصّل عن طريق الاستدلال وأعراف الاستعمال، وعلى أثر ذلك تنتقل دلالة العبارة من ظاهرها الصريح إلى معنى ضمني مُستلزم (كادة، د.ت، ١٢١)، وبناء على ذلك فقد قسّم غرايس الحمولة الدلالية للحدث الكلامي إلى قسمين رئيسين:

الأول- الدلالة الصريحة (المعاني المباشرة): وهي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة نفسها، وتطفو بصورة مباشرة على سطح الخطاب، ويتضح فيها قصد المرسل بصورة مباشرة دون الحاجة إلى العمليات الذهنية للاستدلال عليه، ويندرج تحتها:

١- المحتوى القضوي: وهو الذي يتمثّل في مجموع معاني مفردات الجملة مضمومًا بعضها إلى بعض بعلاقات سياقية محددة.
٢- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الإنجازية المتضمنة في الجملة والمؤشر لها بأدوات تصبغ الحدث الكلامي بصبغة أسلوبية معينة، كالاستفهام، والأمر، والنهي، والإثبات، والنفي، وغير ذلك (صحراوي، ٢٠٠٥، ٣٤-٣٥).

الثاني- الدلالة الضمنية (المعاني المُستلزَمة): وهي الدلالات التي يمكن للمتلقي أن يتوصّل إليها عن طريق عمليات استنتاجية، وخطوات ذهنية استدلالية، وذلك بمعونة قرائن الأحوال ومراعاة مقتضيات المقام، ويتجاوز فيها المتلقي الشكل اللغوي بغية الوصول إلى قصد المتكلم ، ومن ثمّ فإنّ فهم الملفوظ لا يمكن أن يكتمل دون لجوء المخاطب إلى استدلال منطقي مقبول (الشهري، ٢٠٠٤، ٣٦٩-٣٧٠) (ختام، ٢٠١٦، ٩٩-١٠٠)، ويندرج تحتها:
١- المعاني العرفية: هي المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا تامّا، بحيث لا تتغير بتغير سياق الكلام، بل تلازمها ملازمة في مقام معين.
٢- المعاني الحوارية: هي المعاني التي تتولّد حسب السياق الذي تُنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية (صحراوي، ٢٠٠٥، ٣٥).

ثالثا: خصائص الاستلزام الحواري:
ويتميّز الاستلزام الحواري بمجموعة من الخصائص على وفق ما يراه (غرايس) يمكن الوقوف عليها فيما يأتي:
١- **الاستلزام يمكن إلغاؤه:** ويتحقّق ذلك بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، وإمكان الإلغاء هذا هو أهم اختلاف بين المعنى المباشر و المعنى الاستلزامي، وهذه الميزة هي التي تمكّن المتكلم من أن ينكر ما يستلزمه خطابه من دلالات التزامية (نحلة، ٢٠٠٢، ٣٨)، ويمكن إيضاحهفي ضوء قولنا: (لم أقرأ كلّ رسائلك) وهذا يستلزم أنّ المتكلم قد قرأ بعض رسائله، فإذا أعقب كلامه بقوله: (الحقّ أني لم أقرأ شيئا من رسائلك)، فقد ألغى الاستلزام المتمثّل بأنّه قرأ بعض الرسائل.
٢- **عدم الانفكاك:** ويقصد غرايس بذلك أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية للخطاب، فلا ينقطع مع استبدال ألفاظ أو عبارات بأخرى ترادفها في المعنى، بخلاف الاستلزام العرفي الذي هو لصيق بالألفاظ بحيث يزول بمجرد استبدال اللفظ المولّد للاستلزام بلفظ آخر(نحلة، ٢٠٠٢، ٣٨-٣٩).
٣- **الاستلزام متغير:** يقصد بذلك أنّ الاستلزم الحواري يتغيّر بتغيّر السياقات والمواقف بحيث إنّ محتوى قضويا واحدا يحقّق استلزامات متعدّدة حسب المقامات وأوضاع المخاطبين، بل إنّه في سياق واحد قد يصعب تحديد عدد الاستلزامات الحوارية المتولدة من عبارة واحدة، ما دام السياق غير محدد مُسبقا (نحلة، ٢٠٠٢، ٣٩)(الخليفة، ٢٠١٣، ٤٣).
٤- **الاستلزام يمكن تقديره:** يُراد به أنّ المخاطب يستطيع أن يقوم بمجموعة من الخطوات الاستنتاجية والعمليات الذهنية، يتّجه بها خطوة خطوة من الوحدة الكلامية للوصول إلى ما يستلزمه الخطاب؛ وذلك لأنّ الاستلزام الحواري يتولّد في منوال غرايس عن طريق عملية

الاستدلال التي تهدف إلى التوصّل إلى مقاصد الخطاب؛ إذ قواعد غرايس تمثّل منوالا استدلاليا مقيّداً بقواعد المحادثة أو صادرا عنها(نحلة، ٢٠٠٢، ٣٨-٤٠)(روبول وموشلار، ٢٠٠٣، ٦٢).

٥- **اللاعرفية:** يتميز الاستلزام الحواري بكونه غير عرفي، أي أنّه لا يشكّل جزءا من المعنى الوضعي للألفاظ؛ فلا يتمّ الوصول إلى المعنى المستلزم إلّا من بعد معرفة المعنى الوضعي والإحاطة بالسياق والمقام وتطبيق قواعد التخاطب (Pragmatics, 1983, 117).

رابعاً: جذور نظرية الاستلزام الحواري في الدرس البلاغي:

إن مفهوم الاستلزام الحواري ليس بجديد على التراث اللغوي العربي، بل نجده ضاربا بجذوره في أعماق الفكر الأصولي والبلاغي، فقد أُشير إليه بألفاظ متعدّدة ومصطلحات مختلفة، منها: مفهوم النص وإشارة النص وفحوى الخطاب ولحن الخطاب والمعنى المقامي والخروج عن مقتضى الظاهر والمجاز إلى غير ذلك، وقد أشار عدد من الباحثين أنّ الفكر اللغوي العربي القديم قد تنبّه إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، ليس من حيث كونها مفهوما فحسب، وإنّما باعتبارها إشكالا دلاليًا، يبرز من حين لآخر أثناء الخطاب؛ ولذا طرحت مجموعة من الاقتراحات لوصفه واستقصائه وخاصّة في علمي البلاغة وأصول الفقه (أدراوي، ٢٠١١، ٢٥)، ومما تقرر عند البلاغيين القدامى أن الأصل في الكلام هو إجراؤه على مقتضى الظاهر، وقد يقتضي سياق الكلام ومقتضى حال المخاطب العدول عن ذلك الأصل، ويسمى هذا عندهم بالخروج عن مقتضى الظاهر، وهذا هو نقطة الالتقاء والتطابق بينهم وبين التداوليين لاسيما غرايس في ظاهرة الاستلزام الحواري.

ويعدّ عبد القاهر الجرجاني وأبو يعقوب السكاكي من أبرز البلاغيين الذين تصدّوا لهذه الظاهرة من حيث التنظير والإجراء، إذ نجد أنّ الجرجاني يقسم المعنى على قسمين رئيسين: المعنى الصريح والمعنى الضمني كما وجدنا عند غرايس، يقول في معرض حديثه عن المعنى المباشر والمعنى غير المباشر:"وإذ قد عرفت هذه الجملة، فههنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: **(المعنى)**، و **(معنى المعنى)**، تعني **بالمعنى**: المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة، و**(بمعنى المعنى)**: أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنى آخرَ، كالذي فسَّرْتُ لك" (الجرجاني، ٢٠٠١، ١٧٣)، وهذا عين ما عند غرايس من الدلالة الصريحة التي يتطابق فيها قصد المتكلم مع المحتوى القضوي للحدث الكلامي، ويسميه بالقوة الإنجازية الحرفية، ويشير بمعنى المعنى إلى الدلالة الضمنية (الاستلزامية) التي تنبثق عن خرق المتحاورَين لقاعدة أو أكثر من قواعد مبدأ التعاون، وعلى أثر ذلك ينشأ الاستلزام الحواري، وهو ما يصل إليه المتلقّي عن طريق عمليات ذهنية استدلالية.

وقد ظهر إدراك أبي يعقوب السكّاكي لهذه الظاهرة بشكل جليّ عند وقوفه عند الكلام الخبري والإنشائي في مباحث علم المعاني، يقول: "والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان الخبر والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها، وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل" (السكاكي، ٢٠١٤، ٢٥١)، وعندما وقف عند مباحث الخبر أشار إلى أن دلالة الكلام الخبري قد تخرج عن مقتضى الظاهر تحت تأثير سياقات مختلفة التي تصاحب الوحدة التركيبية، وحينئذ تتولد معانٍ ثانوية متعددة، كالطلب والتوبيخ والإرشاد والتهديد إلى غير ذلك مما يقتضيه سياق الكلام، وتدلّ عليه قرائن الأحوال، وهذه المعاني الثانوية هي التي يطلق عليها التداوليون الاستلزام الحواري أو الدلالة الاستلزامية.

وعندما تطرق السكّاكي إلى مباحث الإنشاء ذكر المعنى الأصلي لأسلوب الإنشاء جريا على مقتضى الظاهر، ثمّ ذكر أنّ الإنشاء كثيرا ما يخرج عن مقتضى الظاهر فتتولد معان ثانوية بحسب السياق، يقول : "واعلم أن الطلب كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصار إلى ذلك إلا لتوخي نكتٍ ..." (السكاكي، ٢٠١٤، ٤٣١)، إنّ ما يميّز عمل السكاكي في رؤيته لظاهرة الاستلزام

الحواري، هو أنّ دراسته قد استوعبت الكلام بشقيه: الخبري والإنشائي تنظيراً وتطبيقاً، في حين نجد أنّ غرايس كان معظم دراسته منصبة على على الخطاب الإخباري دون الخطاب الإنشائي، وهذا ما صرّح به الدكتور العياشي أدراوي: "إنّ الاقتراحات التي يقدّمها السكاكي لتحليل ظاهرة الاستلزام الحواري تبقى على درجة عالية من الدقّة والشمولية، لا نجدهما في الاقتراحات الحديثة التي ركّزت في معظمها على الجمل الخبرية، كما هو الأمر مثلا مع غرايس، ذلك أنّ السكاكي في مفتاح العلوم بسط اقتراحات تهمّ الجمل الخبرية والإنشائية على حدّ سواء، وإن كان تركيزه انصبّ بالأساس على الجمل الطلبية" (أدراوي، ٢٠١١، ٣٨)، ومما يدلّ على عمق الدرس البلاغي في دراسة ظاهرة الاستلزام الحواري أنّه لا يكتفي بتقسيم الدلالة إلى الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية فقط، بل يتعرّض إلى تعداد الأغراض الفرعية المتفرّعة عن معاني غير المباشرة كالزجر والتهديد والوعيد والتحسّر وإظهار الضعف والتوبيخ وغير ذلك بحسب السياق والمقام، وهذا يدلّ على أنّ الدرس البلاغي القديم كان على وعي تامّ بأنّ مفهوم الاستلزام الحواري لا يمكن أن توضع له ضوابط وقواعد محددة؛ إذ تتغير دلالة الخطاب بتغير السياق الذي يرد فيه، لأنّ "المحدد في مثل هذه الحالات ليست الصيغة وإنّما المقام، على اعتبار أنّ الصيغة لا تستوعب المقام في كثير من الأحيان، فيما المقام يستوعبها" (أدراوي، ٢٠١١، ٣٤).

وجدير بالذكر إنّ ثنائية الخبر والإنشاء تعدّ نقطة التقاء بين الطرح اللساني العربي والطرح التداولي المعاصر؛ إذ تتجسد فيها ظاهرة الاستلزام الحواري، إذ نجد في الفكر اللساني الغربي أن سيرل في نظريته في الأفعال الكلامية يميّز بين الأفعال الكلامية الإخبارية والأفعال الكلامية التوجيهية، وهذه الثنائية تتطابق تماما مع ثنائية الخبر والإنشاء في البلاغة العربية القديمة (أدراوي، ٢٠١١، ٨٢-٨٤)، وهذا التقارب والالتقاء بين النظرتين يساعد على دراسة الاستلزام الحواري دراسة تداولية في إطار الأساليب الخبرية والإنشائية في النصوص اللغوية كافّة الإبداعية منها وغيرها؛ إذ فائدة مراعاة قواعد مبدأ التعاون لا تقتصر على الخطاب الخبريّ، بل يتجاوز أيضا إلى الخطاب الإنشائي (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٣٣)، فأيّ مخالفة لتلك القواعد الحوارية سواء أكانت في الخطاب الإخباريّ أو الإنشائيّ تتولّد منها دلالة استلزامية تناسب سياق الكلام ومقامه.

وتأسيساً على ما سبق فإنّ دراستنا سوف تتّجهُ نحو ظاهرة الاستلزام الحواري في الخطابات الإخبارية والخطابات التوجيهية في سورة الأنبياء؛ بغية الوصول إلى تلك الدلالات الاستلزامية التي تبغي الوحدة الكلامية في السورة إيصالها إلى المتلقي، وسورة الأنبياء من السور المكية، وهي السورة الحادية والعشرون في المصحف الشريف، وعدد آياتها مئة واثنتا عشرة آية، وهي تعالج موضوع العقيدة الإسلامية في ميادينها الرئيسة كتوحيد الله، والرسالة، والبعث والجزاء، وتتحدّث عن الساعة وأهوالها، وعن قصص الأنبياء والمرسلين، وسمّيت سورة الأنبياء بهذا الاسم؛ لأن الله -تعالى- ذكر فيها عددا من الأنبياء الكرام في عرض سريع يطول أحيانا، ويَقْصُر أحيانا أخرى، وذكر جهادهم وتضحيتهم وصبرهم في سبيل الله، وتفانيهم في تبليغ رسالة ربّهم لإسعاد البشرية جمعاء (الصابوني، ٢٠٠٤، ٢/٢٢٠).

المبحث الأول

الاستلزام الحواري في الخطاب الإخباري

لقد تبوّء الخطاب الإخباري مكانة مرموقة في الدرس اللساني الحديث عموما والتداولي خصّيصا، ويقصد بالخطاب الإخباري تلك الخطابات اللغوية التي تهدف إلى وصف ما في الواقع الخارجي، من أحداث وحالات معينة، بأنساق لغوية تحمل شحنات دلالية تكشف عن جوانب مختلفة من العالم الخارجي، سواء أكان بالإثبات أو بالنفي، وقد سمّى أوستين هذا النوع من التراكيب اللغوية بالجمل الوصفية، وسمّاه سيرل بالأفعال الكلامية الإخبارية (أدراوي، ٢٠١١، ٨٢-٨٣).

وقد وقف البلاغيون القدامى طويلا عند أسلوب الخبر وأقسامه ودلالاته الحقيقية والمجازية، فعرّفوه على أنّه: الكلام الذي يقتَضِي بِصَرِيحِهِ نِسْبَةَ مَعْلُومٍ إِلَى معلوم إمّا بالنفي أو بالإثبات (السكاكي، ٢٠١٤، ٢٥٢)، ومن تعريفاته أيضا: "هو الكلام الذي يحتملُ الصدقَ والكذب" (حبنّكة، ١٩٩٦، ١٦٧)، فالكلام الإخباري عندهم ما يحتمل الصدق والكذب لذاته دون النظر إلى قائله، وذلك بأن يوجد لنسبته الخبرية وجود في الواقع الخارجي، فإن وافقته فهو صادق وإن خالفته فهو كاذب، سواء أكان بالإثبات أو بالنفي، وسواء أكان في التركيب الاسمي أو الفعلي؛ إذ إنّ الخطابات الإخبارية ترد بأساليب وهيئات تركيبية مختلفة في الخطاب القرآني، باستعمال التراكيب الاسمية والفعلية كوسائل تواصلية تؤدي وظيفة إيصال المعلومات، والمقاصد الشرعية إلى المخاطب (دزه يي، ٢٠١٧، ٢٥٨).

وتسعى اللغات قاطبة إلى أن تتفق بُناها العميقة مع بناها السطحية أثناء تواصل الأفراد فيما بينهم، ولكنّ واقع اللغات يأبى ذلك؛ لذا نجد أنّ اللغة في التصور اللساني عموما، والعربي خصيصا ليست بنية مستقلة بل هي بنية ترتبط بها وظيفة التواصل، وعليه فإنّ واصف اللغة عليه أن يتجاوز وصف النسق اللغوي باعتباره شكلا صرفا إلى اعتبار العوامل المقامية المحيطة به؛ ذلك أنّ الأنساق اللغوية تتغير دلالاتها بحسب ما يحتفّ بها من سياق الحال وملابسات الموقف الكلامي، فكثيرا ما تنتهك مبادئ الحوار، وعلى أثره ينشأ الاستلزام الحواري (الصافي، ٢٠٠٧، ٣٠)؛ وذلك لأنّنا نستخدم في حواراتنا الأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من استخدامنا للأفعال الإنجازية المباشرة (الشهري، ٢٠٠٤، ٣٩٥)؛ مراعاة لمبدأ التأدّب في أغلب الأحيان.

وبناء على ما سبق فإنّ الحمولة الدلالية للخطابات الإخبارية تنقسم على قسمين كما سبق: الدلالة الصريحة التي تتألف من المحتوى القضوي والقوة الإنجازية الحرفية، والدلالة الضمنية التي تتألف من المعنى العرفي والقوة الإنجازية المستلزمة، ويقصد بالقوة الإنجازية الحرفية تلك القوة الإنجازية التي يعبر عنها في الكلام بصيغتها النحوية وأساليبها اللغوية المدلول عليها بصورة مباشرة، ويقصد بالقوة الإنجازية المستلزمة تلك القوة الإنجازية التي يستلزمها الخطاب في طبقات سياقية معينة ومقامات مختلفة، وتتولد عن الأولى (المتوكل، ١٩٩٣، ٢١-٢٣)

لقد أسهم البلاغيون إسهاما فعّالا في العناية بالجانب التداولي للغة، فظهر المكوّن التداولي عندهم واضح المعالم بيّن القسمات، فقد دعوا إلى ضرورة مراعاة عدة عناصر مهمّة في تحليل الخطاب الإخباري، وذلك عند تعرضهم للمعنى الأصلي والمعنى الفرعي؛ إذ يرون أنّ الكلام متى امتنع إجراؤه على المعنى الأصلي تولّد منه معنى فرعيا يناسب المقام، ومما يلتقي أيضا مع مبدأ التعاون وقواعده الفرعية تطرقهم إلى مقتضى الظاهر وخلاف مقتضى الظاهر، واتّكاءً على ذلك قسّموا معاني الخبر إلى المعاني الحقيقية والمعاني المجازية التي تقابل ما عند غرايس من الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية (المبخوت، ٢٠٠٦، ١٥٤).

إنّ الأصل في الخطاب الإخباري في نظر البلاغيين عندما يكون الكلام جاريا على مقتضى الظاهر هو: إمّا إفادة المخاطب مضمون الخبر، أو إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بمضمون الخبر ويسمّى الأول **فائدة الخبر**، والثاني **لازم الفائدة** (القزويني، ٢٠٠٤، ١٠١)، بيد أن الخبر غالبا ما يخرج عن مقتضى الظاهر ومن ثمّ تتولد أغراض فرعية كثيرة تختلف باختلاف مقامات التخاطب وملابسات الحوار، وينتقل الكلام فيها من قوته الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزمة الناجمة عن ظاهرة الاستلزام الحواري (أدراوي، ٢٠١١، ١٠٤)، وفيما يأتي سنقف عند نماذج مختارة من سورة الأنبياء لبيان كيفية تحول الدلالة الصريحة إلى الدلالة الضمنية الاستلزامية بالعدول عن قواعد مبدأ التعاون مع التشبث بمبدأ التعاون العامّ للحوار، فمن ذلك قوله تعالى في سؤال نبيّه أيّوب (عليه السلام) ربّه كشف بلائه: **((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ))** (الأنبياء: ٨٣).

المحتوى القضوي لهذا الخطاب بقوته الإنجازية الحرفية يدلّ على أنّ نبيّ الله أيوب عليه السلام (المتكلم) يخبر عن سوء حاله ومعاناته مع مرضه، ويخاطب ربّه بأنّه أرحم الراحمين، وكما لا يخفى أنّ هذا المعنى غير مقصود من الخطاب لعدم مناسبته للمقام في الإخبار عن مرضه، وإخباره بأنّ ربّه أرحم الراحمين، وإنما يريد بهذا الخطاب إظهار ضعفه وعجزه ورفع شكواه إلى بارئه، والتماس الرحمة من مولاه لكشف ذلك الضرّ الذي نزل به وأنهك جسده، وهذه هي القوة الإنجازية المستلزمة للحوار، وعليه فإنّ الخطاب فيه خرق لمبدأ الطريقة؛ إذ لم يصرّح بأنه ضعيف محتاج إلى رحمة ربّه، ولم يصرّح بسؤال الشفاء والعافية من مرضه فـ "لم يقل (ارحمني) لأنه حفظ أدب الخطاب" (الشيزري، ١٩٨٧، ٢٣٢/١)، كما نجد فيه خرقا لمبدأ العلاقة أيضا؛ إذ لا يبدو للناظر أيّ علاقة بين (أني مسّني الضّر) وبين (وأنت أرحم الرحمين) في الظاهر، وعليه فالدلالة الضمنية للخطاب في الآية الكريمة بقوتها الإنجازية المستلزمة هي إظهار الضعف والعجز إلى الله تعالى، وطلب الرحمة بصورة ضمنية مؤدّبة، يقول الزمخشري:" ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرّح بالمطلوب" (الزمخشري، ٢٠٠٣، ٣: ١٢٧)، وكثيرا ما يُلجأ إلى الاستلزام الحواري بخرق قواعد مبدأ التعاون؛ تحقيقا لمبدأ التأدّب في الحوار، وهو من أهم المسوّغات التي ترجّح لجوء المرسل إلى الاستراتيجية التلميحية؛ إذ يؤكد سيرل أنّ التأدب من أبرز مسوّغات اللجوء إلى الاستراتيجية غير المباشرة (الشهري، ٢٠٠٤، ٣٧٢).

ومن الخطاب الإخباري المشتمل على الاستلزام الحواري أيضا، قوله تعالى: **((بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ))** (الأنبياء: ١٨).

يدلّ الخطاب بمحتواه القضوي بقوته الإنجازية الحرفية على رمي الحق على الباطل وموت الباطل إثر ذلك الرمي، ثمّ أخبر بالعذاب للمخاطبين بسبب وصفهم الله بما لا يليق به، لكن يظهر هذا الخطاب الإخباري المباشر غير مراد من الآية؛ لأنّ الحق لا يرمى، والباطل لا يتأتّى منه الموت، وفي هذا خرق لقاعدة الكيف، وهو ما خلع غشاوة الخفاء، وعدم الظهور على الآية الكريمة، هذا بخصوص قوله: (بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ)، أمّا قوله: (وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ)، ففيه إيجاز؛ إذ لم يذكر فيه بأي شيء يصفونه به وهذا خرق لقاعدة الكم، وقد جاء هذا تحقيقا لمبدأ التأدب القاضي بالبعد عن ذكر ما لا يليق به مع اسمه سبحانه، كما أنّ فيه خرقا لمبدأ العلاقة، إذ يبدو أنه ليس له علاقة مناسبة بما سبقه من الآية بحسب الظاهر، وعلى أثر ذلك تولّدت الدلالة الضمنية بقوتها الإنجازية المستلزمة المتمثلة بالاستلزام الحواري؛ لتتأتّى المبالغة في المعنى بتجسيد الحق وتشخيص الباطل وزهوقه إثر قذفه بالحقّ، وإصابته دماغه، فهذا حال الباطل فكيف بحامليه ومتبعيه، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب الاستعاريّ (الاستعارة المكنية) من وظيفة المبالغة في المعنى وإيجاز في المبنى؛ إذ فيه إشارة وتَعْرِيضٌ بِالتَّهْدِيدِ مِنْ نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكافرين، كما أنّ فيه وعدا وبشارة للرسول وللمسلمين بأنه تعالى يزيل الباطل الذي هم عليه، ويثبت الحق الذي هو عليه (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه، وفي قوله: (وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ)، وعيد شديد وتوبيخ لكفار قريش، إذ نجد أنّ الخطاب حُوّل إلى المواجهة عن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المفضي إلى كسر مبدأ التواجُه (الذي يقتضي حفظ ماء الوجه وعدم المباشرة باللوم والتهديد للمخاطب) حيث وبخهم سبحانه وتعالى بما وصفوه بالولد وغير ذلك، مما لا يجوز على الله، وبما وصفوا رسوله الكريم به من السحر والشعر وغير ذلك من الأوصاف المضادة للرسالة، فقال (وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)، أي: تصفونه به من الأوصاف غير اللائقة بهما (النيسابوري، ١٤١٦، ٩/٥).

وجدير بالذكر أنّ خرق مبدأ التأدب أو مبدأ التواجه ليس أمرا مما ينافي أسلوب القرآن، بل هو أسلوب متربع على عرش البلاغة؛ إذ يمثّل هذا الخرق مطابقةً للكلام لمقتضى حال المخاطبين، وسيرا

على قاعدة لكل مقام مقال، وهذه عبارة دقيقة جدا تشير إلى أنّ الكلام يلقى بحسب المقام، فإن اقتضى السير على مبدأ التأدب سار عليه، وإن اقتضى حال المخاطب ومقام الخطاب خرق هذا المبدأ خرقه، وهذه آلية بلاغية مهمة في الأسلوب القرآني.

وقد جاءت في السورة خطابات إخبارية ذات هيئة تركيبية فعلية مثبتة، كما في قوله تعالى: **((قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ))** (الأنبياء: ٦٣)، في هذا النص الكريم خرق لقاعدة الكيف؛ إذ إنّ إبراهيم (عليه السلام) هوالذي كسر الأصنام بيديه، فلا يصح أن يخبر أن كبيرهم هوالذي قام بكسر الباقين! ومما يدلّ على أنّ الدلالة الصريحة من هذا الخطاب بقوتها الإنجازية الحرفية غير مطابقة لقصد المتكلم، استخدام العنصر الإشاري الشخصي (هذا) الدال على التحقير والسخرية في هذا السياق والمقام، إضافة إلى قوله: (فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ)، ومع هذا الخرق فالمرسل راغب في الحوار وملتزم بمبدأ التعاون العام؛ فلذلك يلجأ المخاطب إلى عملية ذهنية استكناهية للوصول إلى ما يتضمنه الخطاب من الدلالة الضمنية بقوتها الإنجازية المستلزمة، وهي: الاستهزاء والسخرية بهم، إذ تركوا عبادة الواحد الأحد، واتّجهوا نحو عبادة هذه الأحجار التي لا تدفع عن أنفسها الضر، فكيف بغيرها، وجاء في المثل السائر ما يشير إلى هذا الاستلزام الحواري في الخطاب السابق: وهدف إبراهيم (عليه السلام) من هذا الخطاب إقامة الحجة عليهم؛ لأنه قال: {فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ}، وذلك على سبيل السخرية والاستهزاء، وهذا من رموز الكلام وتلميحاته (ابن الأثير، د.ت، ٧٢/٢)، وإنّما لجأ إلى هذه الاستراتيجية التلميحية الحجاجية لإلزامهم بالحجة وتبكيتهم، إضافة إلى الحذر من سوء ردّ فعلهم، إذ "يمكنه باستعمال التلميح أن ينفي هذا القصد (الاستهزاء) عن خطابه، ويخرّج الخطاب على أنه ذو قصد آخر" (الشهري، ٢٠٠٤، ٣٧٢)، ومن الدوافع وراء اللجوء إلى هذه الدلالة الاستلزامية غير المباشرة أنّ المتكلم يجد فيها آلية دفاعية جيّدة تمكنه من الانسحاب والتراجع عمّا يقوله عند الحاجة، فيلجأ المرسل إلى الإستراتيجية غير المباشرة لئلّا يتّخذ المرسل إليه خطابه دليلا عليه.

وقد وردت في السورة الكريمة أيضا خطابات إخبارية ذات صورة تركيبية فعلية منفية، كما في قوله تعالى: **((قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ))** (الأنبياء: ٤٥)، نجد في الآية عدولا عن قاعدة الكيف عن طريق استخدام الاستعارة التصريحية في كلمة (الصمّ)، ومن المقرر عند التداوليين أنّ الاستعارة تعدّ آلية من آليات خرق قاعدة الكيف، يقول الشهري: "هناك أربع إستراتيجيات يخرق المرسل بها قاعدة الكيف، وهي: التناقضات والتهكم والاستعارة والأسئلة البلاغية" (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٣٧)، إضافة إلى كسر قاعدة العلاقة؛ إذ لا يظهر في بادئ الأمر مناسبة بين قوله: (وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ) وبين (قل إنما أنذركم بالوحي)، وعليه فالمعنى المباشر المستفاد من الشكل اللغوي بصورته التركيبية غير مقصودة، فعلى المتلقي أن يقوم بعملية استنتاجية للوصول إلى الدلالة المستلزمة من الخطاب، وبالتمعن في فضاء النص يجد القارئ أنّ الشق الأول منه: فيه أمر صادر من الله تعالى إلى نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم) بأن يخبر الكفار إخبار تهديد وتقريع بأن عليه تحذيرهم من عواقب أمرهم في الدنيا والآخرة، ثم تحول الخطاب إلى ذكر حال المشركين من الجهل وبعدهم عن الانتفاع بالوحي، فهم كالصّم الذين لايصل الكلام إلى آذانهم، فالقوة الإنجازية المستلزمة من الخطاب هي أنّ كفار قريش لا ينتفعون بالوحي، ولا يفيدهم الإنذار، فهم أشبه شيء بالصمّ الذين لا يطرق الكلام صماخ آذانهم، وقد جاء في الكشاف:"وَالْأَصْلُ: وَلَا يَسْمَعُونَ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَصَامُمِهِمْ وَسَدِّهِمْ أَسْمَاعَهُمْ إِذَا أُنْذِرُوا، أَيْ: هُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْجَرَاءَةِ وَالْجَسَارَةِ عَلَى التَّصَامُمِ عَنْ آيَاتِ الْإِنْذَارِ" (الزمخشري، ٢٠٠٣، ١١٧/٣)، وَالصَّمَمُ في الآية الكريمة مُسْتَعَارٌ لِعَدَمِ الفائدة بِالْكَلَامِ النافع تَشْبِيهًا لِعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِالْمَسْمُوعِ بِعَدَمِ دخول الْكَلَامِ إلى صِمَاخِ الْمُخَاطَبِ بِهِ (ابن عاشور، ٢٠٠٠، ٥٨/١٧)، ولا يخفى ما في الاستعارة من بعد حجاجي قويّ؛ إذ تعدّ

الاستعارة آلية حجاجية مهمة يستغلّها المتكلم لتحقيق أهدافه الحجاجية في إقناع المتلقي وإذعانه لمضون الرسالة، بل إنّها تأتي في المقام الأول، لا سيّما أنّ الكلام الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ما قورن بالكلام العادي (العزاوي، ٢٠١٠، ٤٧-٤٨)، وهذا هو الدافع إلى اللجوء إلى الدلالة الاستلزامية غير مباشرة عن طريق استخدام الصور البيانية المبطّنة بالحجاج والإلزام.

ومن الخطابات الإخباريّة المنفية ذات تركيب فعلي قوله تعالى: **((وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ))**(الأنبياء: ١٠٧)، نجد أنّ الجملة الخبرية مشتملة على أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء وهو من نوع القصر الإضافي الذي يفيد المبالغة في وصف النبيّ (صلى الله عليه وسلم) بالرحمة؛ لأنّ رسالته ليست مقصورة على الرحمة فقط، بل هناك أمور أخرى جاء بها النبيّ (صلى الله عليه وسلم)، وذلك بدلالة ورود آيات أخر في الذكر الحكيم منها قوله تعالى: **((إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ))** (فاطر: ٢٣-٢٤)، وفي حصر البعثة المحمّديّة في الرّحمة مزيّة واضحة على عظمة ذلك الجناب الشّريف، يقول ابن عاشور: "واعلم أن انتصاب (رحمة) على أنه حال من ضمير المخاطب يجعله وصفا من أوصافه، فإذا انضم إلى ذلك **انحصار الموصوف في هذه الصفة صار من قصر الموصوف على الصفة**، ففيه إيماء لطيف إلى أن الرسول **اتحد بالرحمة وانحصر فيها**، ومن المعلوم أن عنوان الرسولية ملازم له في سائر أحواله، فصار وجوده رحمة وسائر أكوانه رحمة" (ابن عاشور، ٢٠٠٠، ١٧: ١٢٢)، وليس بخفي ما في هذا الحصر من المبالغة والتعظيم اللائق بجنابه الشّريف (صلى الله عليه وسلم).

وتعدّ المبالغة آلية دلالية يخرق بها المتكلم قاعدة الكم من قواعد مبدأ التعاون لغرايس، يقول بعض الدارسين: "أمّا الإستراتيجيات التي يخرق المرسل بها قاعدة الكم فهي: التهوين، **والمبالغة أو المغالاة**، وتحصيل الحاصل" (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٣٧)؛ وذلك لأنّ المبالغة في النص السابق جاءت من زيادة أداتي (ما ... إلّا) على أصل الكلام؛ إذ أصل الكلام: (أرسلناك رحمة للعالمين)، وقاعدة الكم تقضي بمساهمة المتكلم بالقدر المطلوب من المعلومات دون زيادة أو نقصان، وهذا الخروج عن مبدأ الكم ولّد استلزاما حواريا مُفاده المبالغة في مدح النبي (ص) باتصافه بالرحمة، وباصطلاح البلاغيين: إنّ هذا الخبر قد خرج عن مقتضى الظاهر في فائدة الخبر أو لازم الفائدة إلى غرض آخر يفهم من سياق الكلام ومقامه وهو التعظيم للمقام النبوي والتشريف له، يقول ابن عاشور: "وتنكير (رحمة) للتعظيم؛ إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم" (ابن عاشور، ٢٠٠٠، ١٧: ١٢١)، ومن مسوّغات اللجوء إلى هذا الأسلوب الالتوائي غير المباشر في مدح النبي وتعظيمه عن القصر الإضافي تحقيق لغرض الإقناع والإذعان للمتلقي؛ إذ يمثّل أسلوب النفي والاستثناء آلية حجاجية فعّالة لتوجيه الخطاب نحو هدفه في إقناع المتلقي بمضمون النصّ (الشهري، ٢٠٠٤، ٥٢٠)، وهو أنّه نبيّ الرحمة وأنّ دينه رحمة، وما جاء (صلى الله عليه وسلم) إلا لنشر الرحمة في ربوع المعمورة، وهذا ما يبعث المتلقي على اعتناق دينه والسير على منهاجه والاقتداء به.

المبحث الثاني

الاستلزام الحواري في الخطاب التوجيهي

يعدّ الخطاب التوجيهي قسيما للخطاب الإخباري في الدراسات التداولية والإرث البلاغي العربي القديم، ويقصد بالخطاب التوجيهي تلك الخطابات التي يحاول المتكلم فيها توجيه المخاطب للقيام بعمل ما إيجابا أو سلبا، وهذا النوع من الخطاب على عكس الخطاب الإخباري، لا يصف شيئا من الواقع الخارجي بل يطلب به إيجاد فعل ما في العالم الخارجي؛ لذلك يكون اتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات (النحلة، ٢٠٠٢، ٧٩)، وقد سمّى أوستين هذا النوع من الخطاب بالجمل الإنجازية، وسمّاه سيرل

بالأفعال الكلامية التوجيهية، وهو المسمّى عند البلاغيين القدامى بالإنشاء الطلبي في نظريتهم: (ثنائية الخبر والإنشاء) (أدراوي،٢٠١١، ٢٨).

وقد أولى البلاغيون اهتماما بالغا بالإنشاء الطلبي ابتداء من تعريفه وتصنيف أنواعه، ووصولا إلى ما يؤدي كلّ قسم من دلالات حرفية مباشرة، ودلات استلزامية غير مباشرة، حيث عرّفوا الإنشاء الطلبي بأنه: ما "يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل" (القزويني، ٢٠٠٤، ٢٤٢)، وهذا تعريف للطلب بحقيقته، وتنضوي تحت مظلة هذا التعريف أقسامُ الإنشاء الطلبي برمتها، وهي: الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، ومن مميزات الخطاب التوجيهي أنه لا يحتمل الصدق والكذب، ذلك أنه ليس لنسبته خارج حتى تطابقه فيكون صادقا، أو لا تطابقه فيكون كاذبا، بل يراد به إيجاد فعل ما في العالم الخارجي إيجابا أو سلبا (صحراوي، ٢٠٠٥، ٦١-٦٢)، فإذا أجريت صيغ الإنشاء على أصلها فإن الشكل اللغوي تحمل المعنى الحرفي الذي تدلّ عليه صيغها الصورية، من أمر أو نهي أو استفهام أو غير ذلك، أمّا إذا استعملت لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحرفية المباشرة، ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام من المعاني المستلزمة، يقول السكاكي: "متى امتنع إجراء هذه الأبواب (الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني)على الأصل تولد منها ما ناسب المقام" (٢٠١٤، ٤١٦)، وهكذا نجد أن الاستلزام الحواري عند البلاغيين القدامى، لاسيّما عند السكاكي على درجة عالية من الدقة والشمولية بحيث لا نجد نظيرها في الدراسات التداولية الحديثة، حيث استوعبت دراسته الخطاب الإنشائي إلى جانب الخطاب الخبري تنظيرا وتطبيقا، في حين نجد أنّ غرايس كان معظم دراسته منصبة على الجمل الخبرية دون الجمل الإنشائية.

ومما سلف يمكن أن نعقد مقارنة أو نتلمّس تقاربا بين نظرة البلاغيين والتداوليين في ظاهرة الاستلزام الحواري، انطلاقا من كلام القزويني السابق في تعريف الإنشاء الطلبي، حيث قال في آخره: "لامتناع تحصيل الحاصل"(القزويني، ٢٠٠٤، ٢٤٢)، وقد وقف غرايس عند هذه الآلية طويلا، وعدّها آلية من آليات التعبير عن القصد بصورة تلميحية، يقول عبد الهادي الظافر:"ومن أبرز أنواع الخطابات التي يخرق بها المرسل قاعدة الكم، ما يسمّى بتحصيل الحاصل، كما يرى غرايس؛ وذلك لأنها لا تفي بما تتطلّبه هذه القاعدة على مستوى القول الفعلي، ولكنها تفي بها على مستوى الاستلزام (الحواري)" (٢٠٠٤، ٤٣٩)، وقد أراد القزويني بهذه العبارة عند إجراء الكلام على مقتضى الظاهر ملتزما بقواعد مبدأ التعاون، أما إذا ورد ما ظاهره فيه تحصيل الحاصل، فعلى المتلقي أن يقوم بجملة من العمليات الاستنباطية للوصول إلى المعنى الاستلزامي للخطاب التوجيهي؛ لامتناع تحصيل الحاصل، وهذا هو ملتقى نظرة الفريقين في نشوء ظاهرة الاستلزام الحواري.

وعلى الرغم من أنّ غرايس انصب اهتمامه على الخطاب الإخباري في دراسته لمبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه إلّا أن نظريته تشمل الخطاب التوجيهي أيضا، فأيّ خرق لتلك القواعد يتولد من جرّائه الاستلزام الحواري سواء أكان في الخطاب الإخباري أو التوجيهي؛ إذ "لا يخرق المرسل قاعدة الكم (وكذا القواعد الأخرى) بالخطاب الخبري فحسب، بل يمكن أن يخرقها بالأفعال اللغوية الأخرى، مثل الاستفهام (وكذا الأمر والنهي ...)" (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٤٠).

والمتمعن في فضاء الخطاب القرآني عموما وسورة الأنبياء خصيصا، يتراءى له بجلاء ووضوح ظاهرة الاستلزام الحواري ووظيفتها الإبلاغية والبلاغية في الخطاب التوجيهي، وقد ورد بأنساق تركيبية مختلفة في السورة، وفيما يأتي سنحلّل عددا من الأمثلة من الخطاب التوجيهي الإيجابي والسلبي والاستفهامي والتنبيهي (الندائي)؛ بغية إبراز كيفية تحول الدلالة الصريحة إلى الدلالة الضمنية الاستلزامية بخرق قاعدة أو أكثر من قواعد الحوار مع احترام مبدأ التعاون العام وبيان مسوّغات ذلك التحول، فمن الخطاب التوجيهي الإيجابي والاستفهامي في السورة قوله تعالى في الإنكار على المشركين في اتخاذهم الآلهة: **﴿أَمِ**

ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ)) (الأنبياء: ٢٤)، استهلت الآية بالخطاب التوجيهي الاستفهامي في قوله: (أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ)، وفي هذا الخطاب الاستفهامي عدول عن قاعدة الكم بما يظهر فيه من تحصيل الحاصل، "ومن العبارات التي تخلّ بالقاعدة الأولى (قاعدة الكم) يمكن اعتبار تحصيل الحاصل (Tautology) كحدّ أقصى" (٢٠٠٤، ٤٣٩) لهذا الإخلال والخرق، إذ إنّ هذا الاستفهام لا يليق بجلاله؛ لأنّه –سبحانه- قد أحاط بكلّ شيء علما، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فأنّى يتأتى الاستفهام من جانبه – سبحانه- وتعالى، "وهكذا كل ما خرج في الظاهر من الله على الاستفهام فإنه على الإيجاب (الإثبات)؛ لأنه عالم بما كان ويكون، لا يخفى عليه شيء"(الماتريدي، ٢٠٠٥، ٣٣٥/٧)، فالمعنى الحرفي للنص الكريم غير مقصود للخرق الحاصل لقاعدة الحوار، وعلى المخاطب القيام باستنتاج المعنى الاستلزامي بالاعتماد على سياق الموقف وملابسات الكلام، ليصل إلى الدلالة الضمنية المتمثلة في الإنكار والتوبيخ على اتخاذهم غير الله إلها من دونه –سبحانه-، فالاستفهام هنا "هو استفهام إنكار وتوبيخ" (النعماني، ١٩٩٨، ٤٧٥/١٣)؛ لأنه لو كان حقيقيا لكان فيه تحصيل حاصل، ولا يخفى ما في هذا من الزيادة على قدر المطلوب في الحوار بلا فائدة التي ينزّه عنها كلام الله عز وجل، والذي رجّح اللجوء إلى هذا الأسلوب التلميحي غير المباشر لما يتمتع به الاستفهام الإنكاري من قوة حجاجية بالغة تدفع المتلقي إلى الإقناع بمضمون النص ومؤدّاه الدلالي؛ إذ " يعدّ الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، وهو ما يتوسّل به الكثير في فعلهم، ... وكما قيل في الاستفهام، من أنّه حجج بالقصد التلميحي" (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٨٣، ٤٨٦).

وفي الآية الكريمة خطاب توجيهي إيجابي أيضا كما في قوله:**((قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۚ...))**، في هذا الخطاب التوجيهي خرق لقاعدة الكيف؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) يعلم أنّ هؤلاء المشركين ليس لديهم برهان ولا دليل على إشراكهم، فكيف يطلب منهم الإتيان بالدليل، وفي هذا من التناقض بحسب الظاهر ما لا يخفى، وهذا التناقض آلية من آليات الخرق لقاعدة الكيف، إذ "هناك أربع استراتيجيات يخرق المرسل بها قاعدة الكيف، وهي: التناقضات..." (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٣٧)، وعليه فتتحول القوة الإنجازية الحرفية للمحتوى القضوي للخطاب إلى القوة الإنجازية المستلزمة، وهي إرادة التعجيز والتبكيت، يقول ابن جزّي في تفسيره لقوله تعالى: **(**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**)** " كرّر هذا **الإنكار استعظاما للشرك، ومبالغة في تقبيحه**؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، ولينا ط به ما ذكر بعده من **تعجيز** المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل، ولا من جهة الشرع، (هاتُوا بُرْهانَكُمْ) **تعجيز لهم**" (ابن جزي، ١٤١٦، ٢٠/٢).

والذي سوّغ هذا الاستلزام الحواري في موضعين من الخطاب السابق هو المبالغة في المعنى والإيجاز في المبنى؛ إذ من مسوّغات الاستراتيجية التلميحية "الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بخطاب واحد ليؤدّي معنيين هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم في الآن نفسه" (الشهري، ٢٠٠٤، ٣٧٣)، إضافة إلى جانب إفساح المجال أمام القارئ ليقوم بعمليات التأويل والاستنتاج؛ ويصل هو بنفسه إلى تلك المدركات الضمنية للخطاب التي يستلزمها الخطاب التوجيهي الإيجابي والاستفهامي غير المباشرين.

ومن الخطاب التوجيهي السلبي قوله تعالى في نداء زكريا ربّه طلبا للذرية الصالحة: **((وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ))** (الأنبياء: ٨٩)، يحتوي هذا الخطاب على خطاب توجيهي سلبي بقوته الإنجازية المستلزمة وهو: (لا تذرني)، للمخالفة الحاصلة بين المحتوى القضوي للخطاب وقوتها الإنجازية الحرفية، وذلك لخرقه قاعدة الكيف التي تقتضي الاحتراز عن قول شيء تعتقد عدم صحته (نحلة، ٢٠٠٢، ٣٤)، إذ نبي الله زكريا (عليه السلام) يعلم علم اليقين عدم صحة طلب الكفّ من الله –

سبحانه-، وهو يناديه ويتضرع إليه ويقرّ بأنه خير الوارثين، فكيف يصدر منه هذا النهي، فالسياق يمنع من إجراء الخطاب على ظاهره، بل لابد من اللجوء إلى عملية استدلالية ذهنية للوصول إلى الدلالة الضمنية المستلزمة، وهي الدعاء والتضرع إلى الله بأن يرزقه ولدا ولا يتركه وحيدا بدون ولد ولا عقب؛ لأنّ الخطاب يستلزم هذا المعنى ويقتضيه بحسب ملابسات العبارة حيث جاء بعده: ((فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا له زوجه))، والاستجابة لا تكون إلا لدعاء متقدّم.

فضلا عن الاستلزام الحواري في قوله: **((وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ))**، وهو خطاب إخباري يخالف قوته الإنجازية الحرفية في الإخبار عن أنه سبحانه خير الوارثين، فيتحول الخطاب إلى القوة الإنجازية المستلزمة المراد به طلب وارث، ولا يخفى ما في الأسلوب من مراعاة لمبدأ التأدب وهو المسوّغ للّجوء إلى هذه الاستراتيجية التلميحية في هذا الخطاب (الشهري، ٢٠٠٤، ٣٧١).

ومن نماذج الخطاب التوجيهي الاستفهامي في السورة قوله تعالى حكاية عن الحوار الدائر بين إبراهيم وأبيه: **((إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ))** (الأنبياء: ٥٢)، يتمثل الخطاب التوجيهي الاستفهامي في قوله: (مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ...) وفي هذا الاستفهام خرق لقاعدة الكم؛ إذ إنّ إبراهيم (عليه السلام) يعلم أنّ هذه الأصنام تعبد من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع، فإذا كان ذلك كذلك فسؤاله زيادة عن القدر المطلوب في الحوار، وهو من باب تحصيل الحاصل؛ إذ العلم بهذه الأصنام وبحالها حاصل، فإذا طلب حصول ذلك فهو محاولة في تحصيل شيء هو حاصل، وهذه إستراتيجية من إستراتيجيات خرق قاعدة الكم؛ لأنّ المرسل لا يخرق "قاعدة الكم بالخطاب الخبري فحسب، بل يمكن أن يخرقها بالأفعال اللغوية الأخرى، مثل الاستفهام" (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٤٠)، وعليه فالدلالة الصريحة غير مقصودة من الآية، وعلى المخاطب القيام باستنتاج الدلالة الضمنية المطابقة لقصد المتكلم، اعتمادا على سياق الحال ومقتضيات المقام، للوصول إلى القوة الإنجازية المستلزمة التي تناسب مقام سؤال إبراهيم عليه السلام أباه وقومه عن هذه التماثيل، والمعنى الاستلزامي المناسب لهذا المقام هو تحقير هذه الأصنام، وتصغير لشأنها وتقبيح لعبادتهم لها، جاء في بحر المحيط: أنّ قَوْله: (مَا هذِهِ التَّماثِيلُ) يفيد تحْقِير آلهتهم وَتَصْغِيرا لِشَأْنِهَا، وَفِي خِطَابِهِ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: (أَنْتُمْ) اسْتِهَانَةٌ بِهِمْ وتوبيخ لهم وَتَوْقِيفٌ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ الشنيع (أبو حيان، ١٤٢٠، ٤٤٢/٧).

ومن الخطاب التوجيهي الاستفهامي أيضا، قوله تعالى حكاية عن استبعاد الكفار لمجيء يوم البعث: **((وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ))** (الأنبياء: ٣٨)، في الخطاب خرق لقاعدة الكيف القاضية بتحرّ الصدق، والبعد عن قول ما تعتقد عدم صحته، فالكفار لا يؤمنون بقيام الساعة حتى يسألوا عن وقت مجيئها، فالقوة الإنجازية الحرفية غير مقصودة ببنيتها القضوية الصورية لعدم انسجامها مع سياق الحال وموقف الكلام، وللوصول إلى الدلالة الاستلزمية غير المباشرة، على المتلقي اللجوء إلى خطوات استدلالية محسوبة حتى يصل إلى قصد المتكلم : الكفار لايؤمنون بقيام الساعة، ويسيؤون الأدب في سؤالهم: **(إن كنتم صادقين)**، إذن فهم لا يريدون السؤال عنها، بل يريدون الاستهزاء والسخرية من قيامها؛ استعجالاً لما وُعدوا به من العذاب والنكال على طريقة السخرية و**الاستهزاءِ به والإنكار**، حسبما يرشد إليه الجوابُ، وليس طلباً لتعيين وقتِ مجيئ العذاب على وجه الإلزام والحتم (أبو السعود، د.ت، ١٣٣/٤)، واحتكاما إلى تلك الملابسات المقامية والقرائن الحالية يصل المتلقي إلى معنى المعنى لهذا الخطاب التوجيهي الاستفهامي، وهو إنكار البعث واستبعاده والاستهزاء بالمؤمنين به.

وقد ورد الخطاب التوجيهي التنبيهي في السورة بقوته الإنجازية المستلزمة في قوله تعالى على لسان الكافرين الذين حلّ بهم العذاب يوم القيامة: **((قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ))** (الأنبياء: ١٤-١٥)، يتمثل الخطاب التوجيهي في الآية في أسلوب النداء الذي يتضمن طلب إقبال المخاطب الواعي ليتأتّى منه السماع والإقبال، بيد أنّ المنادى في الآية هو لفظ (ويلنا)، وهو لا يصلح لتوجيه الخطاب إليه وطلب

الإقبال منه؛ إذ فيه "نداء غير العاقل لشدة الدهشة والحيرة" (الهرري، ٢٠٠١، ٢٤: ١٨٥)، وفي هذا خرق لقاعدة الكيف التي تنصّ على وجوب الابتعاد عن قول كلّ ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا يصحّ طلب الإقبال من الويل؛ لأنّه لا يعي الخطاب ولا يصلح له، فتوجيه الخطاب إليه فيه نوع من التناقض الذي هو آلية من آليات خرق قاعدة الكيف؛ إذ إنّ "هناك أربع إستراتيجيات يخرق المرسل بها قاعدة الكيف، وهي: **التناقضات** والتهكم والاستعارة والأسئلة البلاغية" (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٣٧)، وبسبب هذا الخرق تتولد دلالة استلزمية تناسب سياق هذا الكلام وحال الكافرين في ذلك الموقف الرهيب هي التحسّر والتفجع على ما هم فيه من العذاب والنكال، يقول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: "الويل كلمة جامعة للشر كلّه ... وقد توضع في موضع التّحسّر والتّفجع، كقوله: (يا وَيْلَنا) (الأنبياء: ١٤)" (ابن قتيبة،)، وكثيرا ما يخرج النداء عن مقتضى الظاهر فتنبثق دلالات استلزامية غير مباشرة؛ إذ لا يقتصر الاستلزام الحواري على نوع من أنواع الخطاب التوجيهي بل هو جارٍ على أقسام الطلب برمتها، وإلى هذا أشار بعض الدارسين قائلا: ولا يقتصر الاستلزام الحواري على الاستفهام فقط، بل يسري على الأفعال التوجيهية بأنواعها كافّة (الشهري، ٢٠٠٤، ٤٣٤).

وفي الآية خرق لقاعدة الكم أيضا في الخطاب الإخباري في قوله: **(إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ)؛** إذ التقدير: إنّا كنّا في الدنيا ظالمين في عبادتنا لغير الله، وذلك بحذف الإشارة الزمانية (في الدنيا) ومتعلّق (الظالمين)، يقول ابن جرير الطبري في تفسيره: "(إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ) في عبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا، ووضعنا العبادة غير موضعها" (الطبري)، والدلالة الاستلزامية المنبثقة من هذا الخرق هو الاعتراف بالخطيئة والندم على ما مضى من التقصير في حقّ الله سبحانه وتعالى.

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة العلمية في رحاب سورة الأنبياء والتجوال في تلافيف كتب اللسانيات التداولية، توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يأتي:

١- إن مفهوم الاستلزام الحواري ليس بجديد على التراث اللغوي العربي، بله نجد ضاربا بجذوره في أعماق الفكر البلاغي القديم، فقد أشير إليه بمصطلحات مختلفة، منها: معنى المعنى، والمعنى المقامي، والأغراض الفرعية، والخروج عن المقتضى الظاهر إلى غير ذلك.

٢- وقوف القدامى عند ثنائية الخبر والإنشاء وتحديدهم لأصناف الأسلوب الخبري والإنشائي، يلتقي في كثير من جوانبه مع طروحات أوستين وسيرل في نظرية الأفعال الكلامية الإخبارية والتوجيهية.

٣- إنّ أكثر الخطابات القرآنية في السورة الكريمة بشقيها الإخباري والتوجيهي، محمّل بشحنات دلالية استلزامية غير مباشرة، لمسوّغات متعدّدة، وأغراض مختلفة، منها مراعاة مبدأ التهذيب، والإيجاز في المبنى والمبالغة في المعنى، وإقامة الحجة على الخصم وإذعان المتلقي لمضمون الخطاب، مع إضفاء صبغة جمالية على الأسلوب القرآني وفتح نوافذه على قراءات متعددة وتأويلات مختلفة بالارتكان إلى المكوّنات السياقية والملابسات المقامية.

٤- لقد انبثق الاستلزام الحواري في الخطابات الإخبارية في السورة جرّاء كسر قاعدة أو أكثر من قواعد الحوار عن طريق اللجوء إلى استراتيجيات مختلفة، كالإيجاز والاستعارة والقصر الإضافي والخروج عن مقتضى الظاهر، وغير ذلك مما سجلناه في حنايا البحث.

٥- كثيرا ما يجتمع في النص الواحد على صعيد السورة أكثر من صنف واحد من أصناف الخطاب التوجيهي، كاجتماع الخطاب التوجيهي الاستفهامي مع الخطاب التوجيهي الإيجابي، وقد يجتمع

في نص واحد خطاب إخباري مع خطاب توجيهي في آن واحد، وهذا ما يجعل الخطاب القرآني حاملا لشحنات دلالية واسعة الفضاء قابلة للحمل على وجوه دلالية تفسيرية متنوّعة.

٦- عند الوقوف عند ظاهرة الاستلزام الحواري في الخطاب التوجيهي في السورة، وجدنا أنّ الاستلزام الحواري قد تولّد في أغلب حالاته باللجوء إلى استراتجية (تحصيل الحاصل) المتفقة بين الإرث البلاغي والدرس التداولي، عند كلّ من القزويني وغرايس في نظرتهما إليها على أنها آلية من آليات انتقال الدلالة الصريحة للخطاب بقوتها الإنجازية الحرفية إلى الدلالة الضمنية بقوتها الإنجازية المستلزمة.

٧- إن التحليل التداولي للخطاب القرآني بحاجة إلى استحضار مجموعة من الآليات اللغوية والسياقية، والمعطيات الاجتماعية والنفسية للوصول إلى مكنونات الخطاب، وإيحاءاته الدلالية العميقة المتسترّة تحت البينة الصورية للمحتوى القضوي للنص؛ إذ إنّ الخطاب القرآني يمثل نسيجا من الأوامر التشريعية، والإخبار عن أمور غيبية، والانفعالات الإنسانية ، وسلوكيات اجتماعية، لا يمكن الوقوف على كنهها وسبر أغوارها دون التسلح بتلك الآليات الضرورية لتحليل نسيج ذلك النص المعجز، وفكّ شفراته الدلالية ورموزه الإيحائية.

ثبت المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد (د.ت) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، د.ط، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن جزّي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (١٤١٦هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (٢٠٠٠) التحرير والتنوير، ط١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (د.ت) تأويل مشكل القرآن، د.ط، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (د.ت) إرشاد العقل السليم إلى مزايا كتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- أبو حيّان، محمد بن يوسف (٢٠٠١٥) البحر المحيط، تحقيق: ماهر حبوش وآخرون، ط١، دمشق، دارالرسالة العالمية.
- أدراوي، العياشي (٢٠١١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني- من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة، ط١، الرباط، دار الأمان.
- بلانشيه، فليب (٢٠٠٧) التداولية من أوستن الى غوفمان، ترجمة : صابر الحباشة ، ط١، دار الحوار، سورية.
- الجرجاني، عبدالقاهر الجرجاني (٢٠٠٤) أسرار البلاغة، ط١، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون.
- حبنّكة، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (١٩٩٦) البلاغة العربية، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

- ختام، جواد (٢٠١٦) التداولية- أصولها واتجاهاتها، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.
- الخليفة، هشام عبدالله (٢٠١٣) نظرية التلويح الحواري/ بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ط(١)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان.
- دزةيي، د. دلخوش جارالله حسين (٢٠١٧) الأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة تويزةر، العدد: ٠، فصل الصيف.
- روبول، موشلار، آن وجاك (٢٠٠٣) التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس وَمحمد الشيباني، ط٣، دار الطليعة، بيروت.
- زرام، زحاف، فتيحة، يوسف (٢٠٢٠) قواعد مبدأ التعاون التخاطبي عند جرايس بين الاختراق والالتزام، بحث منشور، مجلة لغة/ كلام، المجلد: ٦، العدد: ٣.
- الزمخشري، جارالله محمود بن عمر (٢٠٠٣) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، بيروت، دارالكتب العلمية.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف السكاكي (٢٠١٤) مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- شاكر، د.تارا فرهاد (٢٠١٨) اللسانيات الخطابية في قصص الأنبياء (آدم وإبراهيم وعيسى) عليهم السلام في القرآن الكريم، ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- الشهري، عبد الهادي الظافر (٢٠٠٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية لغوية، ط١، بيروت- لبنان، دار الكتاب الجديد.
- الشيزري، أسامة بن منقذ (١٩٨٧) لباب الآداب (٥٨٤هـ) تحقيق/ أحمد محمد شاكر، ط٢، القاهرة، مكتبة السنة.
- الصابوني، محمد علي (٢٠٠٤) صفوة التفاسير- تفسير للقرآن الكريم، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الصافي، د.خديجة محمد (٢٠٠٨) نسج الوظائف النحوية في الجملة العربية، ط١، القاهرة، دار السلام.
- صحراوي، د. مسعود (٢٠٠٥) التداولية عند علماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط١، بيروت-لبنان، دار الطليعة.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٠٠١)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- عبد الباقي، كريمة (٢٠١٧) الاستلزام الحواري في الحديث النبوي الشريف، رسالة ماجستير بإشراف أ.د. ليلى مداني، جامعة عبد الحميد بن باديس، كلية الأدب العربي والفنون، الجمهورية الجزائرية.
- العزّاوي، أبو بكر (٢٠١٠) الخطاب والحجاج، ط١، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت- لبنان.
- القزويني، الخطيب (٢٠٠٤) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د.محمد عبدالمنعم خفاجي و د.عبدالعزيز شرف، ط٦، القاهرة، دار الكتاب المصري.

- كادة، ليلى (د.ت) المكوّن الدلالي في النظرية اللسانية العربية – ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجاً، أطروحة دكتوراه بإشراف: د.بلقاسم دفة، جامعة الحاج خضر، باتنة الجزائر.
- الماتريدي، محمد بن محمد (٢٠٠٣) تأويلات أهل السنة (ت٣٣٣هـ)، ط١، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.
- المبخوت، شكري (٢٠٠٦) إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، د.ط، تونس، مركز النشر الجامعي.
- المتوكل، أحمد (١٩٩٣) آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط١، دار الهلال العربية.
- نحلة، د.محمود أحمد (٢٠٠٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط١، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- النعماني، سراج الدين عمر بن علي (١٩٩٨) اللباب في علوم الكتاب (ت٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد معوض، ط١، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (١٤١٦هـ) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (ت ٨٥٠هـ)، ط١، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي (٢٠٠١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط١، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان.
- pragmatics, George, New York, Oxford University Press, 1996.

پوختە

پابەندی گوفتاری لە دەق قورئانی سورەتی (الأنبياء) وەکو نمونە

ئامانج لەم توێژینەویە کە ناوبراوە بە (پابەندی گوفتاری لە دەق قورئانی سورەتی (الأنبياء) وەکو نمونە) خستنە رووی بیردۆزی پابەندی گوفتاریە کە باوە لە توێژینەوە پراگماتیە هاوچەرخەکاندا، لەگەڵ بەدواگەڕانی ڕەگ و ریشەی بیردۆزەکە لە بیری ڕەوانبێژی لە ڕێی بەراوردکردنی هەندێك زاراوە ڕەوانبێژیەکان کە هاوتەریبن لەگەڵ زاراوەی پابەندبوون گوفتاری لە پراگماتیکیەکان، سەرە ڕای یەککگرتنی پراگماتیك لە گەڵ ڕەوانبێژی عەرەبی لە ڕووی پرۆگرامی شیتەڵکردنی دەق لە میانەی دقدا، لەگەڵ خستنە ڕووی گەیشتنی هەردوو زانستەکە بە چۆنیە تی واتای دەق لە هێزی ڕاستەو خۆ بۆ هێزی خوازراوی ناڕاستەو خۆ، توێژینەوەکە هەڵستاوە بە شیتەڵکردنی چەند نموونەیەك لە سورەتەکەدا ششیتەڵێکی پراگماتیکی لە بۆ ختابی هەوالّی و ئاڕاستەکراوی لە دوو بەشی سەر بەخودا، لەگەڵ ئاماژەکردن بە هۆکاری دەربڕینی واتاکان بە شێوازی نا ڕاستەو خۆ لە کاتی شیتەڵکردنی نموونەکاندا.

وشە کلیلییەکان: پابەندی گوفتاری، الأنبياء، هێزی ڕاستەوخۆ، هێزی خوازراوی نا ڕاستەو خۆ..